

الدور الحضاري للمهالبة في بلاد المغرب

د. ناصر بن علي الندابي

خبير تربوي بوزارة التربية والتعليم

dr.alnadabi@gmail.com

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تتبع الدور الحضاري الذي قام به آل المهلب في الشمال الإفريقي عندما كانوا ولاية للدولة العباسية في ذلك الجزء من العالم الإسلامي. وتعتمد الدراسة على الاستقراء بمنهج تحليلي مقارنة؛ لتحقيق أهدافها البحثية. وقد توصلت الدراسة إلى أن تتابع هؤلاء الولاة على بلاد المغرب واحدا تلو الآخر، دليل على القدرة الإدارية والحس السياسي لديهم، الذي جعل من خلفاء الدولة العباسية ينيطون بهم الولاية؛ وبذلك أصبحت تلك الحقبة الزمنية مرتعا خصبا لأقلام الباحثين للتقيب في صفحات التاريخ؛ بحثا عن العلاقة التاريخية بين عمان وبلاد المغرب.

الكلمات مفتاحية: المهالبة. بلاد المغرب. الدور الحضاري. الولاة. الخلفاء

المقدمة:

لقد أسهمت عمان بعدد من الشخصيات الفذة التي كان لها قدم السبق واليد الطولى في الحضارة الإسلامية وتاريخها المجيد، سواء أكانوا في عمان أم خارجها. ومن هؤلاء القادة البارزين في التاريخ الإسلامي، المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني. إن شخصية المهلب بن أبي صفرة قد طبقت سمعته وشهرته أصقاع المعمورة، وغدت شجاعته وقيادته للجيش مضرب المثل، وانسحبت هذه الصفة لكل من ينتمي إلى هذا البيت، فاستعان به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم عبدالله بن الزبير، وفي الأخير أوكل إليه بنو أمية مهمة قتال الخوارج الأزارقة، ثم جعلوه واليا وقائدا في بعض ولاياتهم، كما استعملوا أبناءه من بعده لذات المهام، ومن أشهرهم يزيد بن المهلب وزيد بن المهلب وغيرهم. وبلغت سمعة هذا البيت وشهامته مسامع بني العباس، فاستعانوا بهم أيضا، ومن بين الولايات التي ولّوهم عليها ولاية إفريقية.

تركز هذه الدراسة على الولاية المهالبة الذين ظلوا ربحا من الزمن يحكمون بلاد المغرب، وتسلب الضوء على الجانب الحضاري الذي قاموا به حين قدموا إليها ولاة من الدولة العباسية، وتركز على الآثار الاجتماعية والاقتصادية التي تركوها في تلك البلاد إبان ولايتهم لها، وتتعرض للدور الريادي الذي قاموا به من أجل توطيد بلاد المغرب، وإبقائها جزءا لا يتجزأ من جسم الدولة العباسية. وتجمع الدراسة بين الاستقراء، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن.

وصول آل المهلب إلى المغرب العربي:

فتح المسلمون بلاد مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائد عمرو بن العاص، ثم توجهوا غربا نحو إفريقية حتى بلغوا مدينة برقة، وعندما اقتربوا من إفريقية، لم يبق أمامهم سوى مسيرة تسعة أيام، استأذنوا أمير المؤمنين لفتحها، إلا أنه رفض مواصلة الفتح والتوغل في بلاد المغرب؛ خشية منه على المسلمين من أدغال إفريقية⁽¹⁾. ورد على عمرو بن العاص برسالة جوابية جاء فيها: "إنها ليست بإفريقية،

(1) عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد المغرب، ط1، مكتبة الرشد، الرياض المملكة العربية السعودية، سنة: 1429هـ / 2008م ص31-36.

ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"⁽²⁾. ولقد صدق حدس أمير المؤمنين؛ إذ لاقى المسلمون معاناة شديدة لفتح إفريقيا والتوغل فيها بعد وفاته بأعوام كثيرة.

أذن الخليفة الثالث عثمان بن عفان، للمسلمين بمواصلة فتح إفريقيا، ثم توقفت الفتوحات في عهد الإمام علي بن أبي طالب؛ نظرا لما مر بالعالم الإسلامي من فتن واختلافات، ثم واصل هذا المشروع الدولة الأموية، فتمكنت من فتح سائر بلاد المغرب، ودخل أهلها في الإسلام، وهم من كانوا عوناً للفاثحين القادمين من المشرق، ومن أبرز القادة الفاثحين موسى بن نصير وطارق ابن زياد.

ضم عصر الدولة الأموية عددا كبيرا من الولاة، تتابعوا على ولاية بلاد المغرب بعد الوالي موسى بن نصير، من أبرزهم: محمد بن يزيد القرشي (97هـ / 715م – 100هـ / 718م)⁽³⁾، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (100هـ / 718م - 102هـ / 720م)⁽⁴⁾، وبشر بن صفوان الكلبي (102هـ / 721م – 115هـ - 733م)⁽⁵⁾. وسار الأمر على هذا المنوال إلى أن جاء عهد عبد الرحمن بن حبيب الفهري (126هـ / 744م – 137هـ / 754م) الذي انتزع الولاية بالقوة، فاستمر في ولايته حتى قيام الدولة العباسية، التي أقرته على

(2) "وردت هذه العبارة بصيغ عدة، فوردت متناثرة" ينظر مثلا: أحمد اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1419هـ / 1999م، ط1، ج2، ص108. "ولكن عند ابن الحكم أوردتها كاملة بهذه الصورة" ينظر: ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، طبعة في مدينة ليدن، سنة: 1920م، ص173، واعتمدها المراجع من بعده. انظر: العيدروس: محمد، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، سنة: 1430هـ / 2009م، ط1، ص26. حسونة، محمد: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر، دبت، ص56.

(3) "عين واليا من سليمان بن عبد الملك" انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص213، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص206، الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان، وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1990م، ص58، ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، سنة: 1415هـ / 1995م، ج4، ص300، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، سنة: 1983م، ص47.

(4) "تم تعيينه واليا على المغرب من عمر بن عبد العزيز وكان حسن السيرة" انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص213، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص62، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص204 وما بعدها، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج4، ص300-301، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص48.

(5) "استمر واليا على المغرب في عهدي يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك" انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص215، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص219، ص223، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص66، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص49.

ولايته وأضفت عليه الصبغة الشرعية⁽⁶⁾. وبعد صراع مرير داخل العائلة الفهرية، انتهى الأمر ببسط قبيلة ورافجومة البربرية نفوذها على القيروان؛ بعدها أرسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث واليا على بلاد المغرب؛ لتوطيد الأمن بها، فتمكن من ذلك فترة بسيطة إلى أن حدثت اضطرابات كثيرة تمخضت عن إرسال والٍ على مستوى هذه الأحداث المتأزمة، ألا وهو أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي⁽⁷⁾. ومن هنا بدأت علاقة آل المهلب بالمغرب العربي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء الولاة الذين عُينوا على المغرب لم يكونوا من أبناء المهلب مباشرة، بل كان بعضهم من أبناء إخوته، لكن بسبب شهرته نسبوا إليه⁽⁸⁾، وهؤلاء الولاة هم:

عمر بن حفص بن عثمان الأزدي (151هـ / 768م – 154هـ / 771م)

هو أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي،⁽⁹⁾ يلقب بـ "هزار مرد" وهي كلمة فارسية تعني ألف رجل⁽¹⁰⁾، وهذا اللقب يدل على قوة شخصية هذا الوالي وشجاعته؛ إذ يعد عن ألف رجل، ويعد أول من وُلِّي من آل المهلب على بلاد المغرب، فقد اختاره أبو جعفر المنصور ليوطد الأمن

(6) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص 223-224، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 96، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 4، ص 501، ابن عذاري: البيان المغرب...، ص 64، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد المغرب.. م. س، ص 103 إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراتها في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرائية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د. ت.، ص 83.

(7) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 103 وما بعدها، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار مطابع المستقبل، القاهرة، سنة: 1980م، ط 1، ص 71، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص 103.

(8) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 195، عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ/1987م، ط 1، ص 179.

(9) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج 2، ص 261، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد: تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1417هـ / 1997م، ج 4، ص 498، السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور، الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة: 1419هـ / 1998م، ج 3، ص 484، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 195، البطاشي: تاريخ المهلب القائد... م. س، ص 152، "بينما ذكر ابن حزم الأندلسي وابن عذاري المراكشي أن اسمه عمرو وليس عمر" انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص 368، ابن عذاري، البيان المغرب...، م. س، ج 1، ص 75.

(10) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص 368، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 195، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص 105، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي، دار الفتح ودار التراث العربي، ليبيا، ط 3، د. ت.، ص 185.

فيها بعد كثرة النزاعات والثورات التي ظهرت بها، وقدم إليها في عام 151هـ / 768م، واتخذ من القيروان مركزا لولايته(11).

استقرت الأمور في القيروان بمقدم أبي جعفر في السنوات الثلاث الأولى من عهده، ولكن ما لبثت أن ثارت عليه الإباضية بزعامة عبد الرحمن بن رستم، والصفورية بزعامة أبي قررة في إقليم الزاب؛ وذلك نظرا لوصول خير رغبة أبي جعفر في تحصين مدينة طنبنة(12)، الأمر الذي سيشكل خطرا على أمن واستقرار الإباضية وخشيتهم من هذا المشروع المفاجئ وما قد يعقبه من رغبة في التوسع، فتوجهوا إلى هذه المدينة وحاصروه فيها، إلا أنه تمكن في نهاية المطاف من تفرقة هذه الجموع وفك الحصار بالحيل والخديعة، فانطلت هذه الحيلة على الصفورية فانصرفوا، ولم يبق في الساحة سوى الإباضية، فظل يقاتلهم حتى تمكن من هزيمتهم،(13) ثم عاد أدراجه نحو القيروان، وما أن ولج المدينة حتى فوجئ بحصار أبي حاتم يعقوب بن لبيب الإباضي لها، وحين بلغ نبأ هذه الثورة إلى العاصمة بغداد، أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور المدد إليه لفك الحصار بقيادة يزيد بن حاتم - ابن عم أبي جعفر -،(14) إلا أن أبا جعفر عزَّ عليه أن يقال أنقذه ابن عمه من الحصار، فخرج إلى المحاصرين بعد أن قال لأعوانه مقولته المشهورة "لا خير في الحياة بعد أن يقال: يزيد أخرج من الحصار، إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب"(15) فقاتل حتى قتل وكان ذلك في شهر ذي الحجة من عام 154هـ / 771م(16).

(11) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص195، ابن عذراي: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص75، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص185.

(12) طنبنة: بضم أوله ونون مفتوحة وهي بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب، فتحها موسى بن نصير فبلغ سبيلها عشرين ألفا وهرب كسيلة منها، وسورها مبني بالطوب وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها. استجدها عمر ابن حفص هزار مرد المهلب في حدود سنة 454هـ" انظر: الحموي، معجم البلدان، م. س، ج4، ص21.

(13) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص105، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص196، ابن عذراي: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص75، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص104، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص185.

(14) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص197، ابن عذراي: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص75، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص105، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص187.

(15) ابن عذراي: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص76.

(16) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص197، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص105، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص187.

وعلى الرغم من أن ولاية أبي جعفر كانت قصيرة زمنياً، إلا أن من المسلم به أن يكون هناك العديد من رجالات الأزدي من آل المهلب وذراريهم قد صحبت هذا الوالي حين مقدمه من أرض المشرق متجهاً بكتاب الخليفة واليا على بلاد المغرب، لتحط رحالها فيها وتكون عوناً لهذا الوالي المنتمى إليها، الأمر الذي يجعل اندماج المهالبة بالمغاربة، وتأثيرهم في مفردات الحياة الاجتماعية ممكن وكبير.

يزيد بن حاتم الأزدي (154هـ / 771م – 170هـ / 786م):

وهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ويكنى بأبي خالد،⁽¹⁷⁾ عرف عنه أنه كان شجاعاً مقداماً شبيهاً بجده المهلب بن أبي صفرة، وقد أنيط به ولاية مصر من الخليفة أبو جعفر المنصور⁽¹⁸⁾، وعندما بلغ هذا الأخير حصار الإباضية واليه أبو جعفر السالف الذكر أمره بالخروج من مصر في عام 154هـ / 771م، والتوجه نحو إفريقية لفك الحصار الذي ضرب على مدينة القيروان، وأمدّه بجيش كبير من أهل الكوفة والبصرة وخراسان والشام، إلا أن هذه الجموع وصلت بعد مقتل أبي جعفر ودخول أبي حاتم الإباضي إلى المدينة بعد أن أبرم جميل بن صخر -أخو أبي جعفر لأمه- الصلح معه؛ مما تمخض عنه خروج العسكر من القيروان بسلاحهم⁽¹⁹⁾.

خرج يزيد بن حاتم من مصر بكتاب الولاية إلى إفريقية، وعندما علم أبو حاتم الإباضي بتوجهه إليهم خرج ببعض جنده -بعد أن تفرق الكثير من أعوانه عنه واختلّفوا فيما بينهم- فدخل في معركة فاصلة مع يزيد بن حاتم قرب مدينة طرابلس انتهت بمقتله في ربيع الأول عام 155هـ / مارس 772م، تمكن

(17) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 111 ص 112، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص 370، ابن عذاري: البيان المغرب... م. س، ج 1، ص 87، ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، بدون طبعة، دت، ج 2، ص 1.

(18) "وقد تولى قبلها ولايات عدة منها أرمينية والسند وأذربيجان" انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 113، ص 123، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 146، ص 175، ص 184، ابن عذاري: البيان المغرب.. م. س، ج 1، ص 81.

(19) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج 2، ص 270، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 123، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 197.

بعدها الوالي يزيد بن حاتم من التوجه نحو القيروان ودخولها، وما أن وطئت قدماه أرض القيروان حتى عمل على القضاء على كل الثورات دون هوادة، فاستقامت له الأمور وساد الأمن والسلام في أرجاء إفريقية⁽²⁰⁾.

ونظرا لما ساد المنطقة من الأمن والاستقرار، فقد سنحت الفرصة ليزيد بن حاتم للقيام بالعديد من المشاريع العمرانية والاقتصادية، والنهوض بالجانبين العلمي والثقافي، وأولى اهتماما كبيرا بالقيروان فرتَّب سوقها وجَدَّد مسجدها الجامع⁽²¹⁾ - وهو ما يفصله العنصر التالي من هذه الورقة البحثية.

واستمر على هذا النحو من التطوير والاهتمام بمدينة القيروان وما حولها حتى وافته المنية عام 170 هـ / 786 م⁽²²⁾. ونظيرا لما عرف عنه من الجود والكرم فقد حظي بمدح الشعراء له. ومن بين الشعراء الذين قالوا في حقه مدحا، الشاعر ربيعه بن ثابت الرقي؛ إذ قال⁽²³⁾:

لشنان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سُلِيم والأعْر ابن حاتم
فلا يحسب النَّمْتَامُ أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم
فهْمُ الفتى الأزدي إتلاف ماله وهُمُ الفتى القيسي جمع الدراهم

والجدير بالذكر أن طول مدة ولاية يزيد بن حاتم على بلاد المغرب (16 سنة)، واستقرار الأمن والرخاء الاقتصادي والعمراني الذي ساد المنطقة في عهده، كان من أهم الأسباب والمحفزات التي أهلّت المنطقة لاستقطاب الناس بشتى طبقاتهم - التجار والعلماء والشعراء - لاستيطانها والاستقرار فيها والتنعم بالهدوء والطمأنينة في ظل وجود إدارة قوية ووالٍ كريم محب للعلم وطلابه، كل ذلك يعد دليلا على إمكانية نزوح العديد من القبائل الأزدية المهالبة بصورة خاصة، وباقي القبائل على وجه العموم من المشرق العربي

(20) البيهقي: تاريخ البيهقي، م. س، ج2، ص270، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص123، ص124، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص197، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص72، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص105.

(21) "بينما يرى الرقيق القيرواني أن يزيد بن حاتم هو من بناه ثم جده" انظر: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص126.

(22) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص126، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص198، "بينما يرى ابن عذاري أن وفاته كانت في عام 171 هـ" انظر: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص81.

(23) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص115، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة...، م. س، ج2، ص1.

وإقامتها في بلاد المغرب بشتى أقاليمه ومدنه، فقد كانت فرصة سانحة لمحبي السلطة من المهالبة لإشباع نهمهم وبلوغ مأربهم في السلطة والنفوذ، والتطلع إلى نيل حظوة لدى واليها الذي ينتمي إليهم، كما أنها تعد في الوقت ذاته بابا فتح على مصراعيه للتجار الأزدبيين الذين وجدوا فيها سوقا رحبا لبضاعتهم، وأصبح مهوى لكل الفئات الأخرى من الأزد التي ترنو إلى العيش تحت سيادة شخص من قبيلتها في زمن بلغ التعصب القبلي أوجه.

روح بن حاتم الأزدي (170هـ / 786م - 174هـ / 791م):

هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، يكنى بأبي خالد، وُلِّيَ لخمسة خلفاء من بني العباس: السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد، حتى قيل إنه لم يتفق هذا لأحد غيره سوى لأبي موسى الأشعري الذي كان عاملا للمصطفى - عليه وسلم - على اليمن، ثم لخلفائه من بعده، فقد تولى روح بن حاتم ولاية البصرة وعين واليا على الكوفة، كما تولى ولاية السند وطبرستان وفلسطين وآخرها بلاد المغرب⁽²⁴⁾.

ومن الأحداث التي سبقت مقدم روح بن حاتم، استخلاف الوالي يزيد بن حاتم لابنه داود إبان مرضه وقبيل وفاته⁽²⁵⁾ على إفريقية حتى يُعَيَّنَ واليا آخرَ من الخليفة، فاستمر في منصبه تسعة أشهر ونصف، خاض فيها العديد من المعارك مع البربر⁽²⁶⁾.

وقد كان داود هذا مثالا بارزا على متانة العلاقة بين المهالبة ووطنهم الأم عُمان، وتجلى ذلك الأمر عندما بعث داود برسالة إلى أهل عُمان يخبرهم بمسير عيسى بن جعفر إليهم بأمر من هارون الرشيد للسيطرة على عُمان وإخراجها من قبضتهم⁽²⁷⁾.

(24) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج 2، ص 279، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 135، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج 1، ص 84، البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص 160.

(25) "يظهر من رواية اليعقوبي أن الخليفة كان موافقا لاستخلاف يزيد لابنه داود، وإن الخليفة هارون عزله؛ لأن الثوار هزموه، وأنه كان سيء المعاملة لأهل إفريقية" انظر: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج 2، ص 288، "ويعد داود هذا من الولاة المشهورين في عصر العباسيين، فقد تولى ولايات كثيرة منها مصر والسند، ومدحه الكثير من الشعراء وتوفي وهو على ولاية السند" انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج 2، ص 308، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 133.

(26) "عند الرقيق أنه مكث في منصبه خلفا لأبيه مدة سبعة أشهر ونصف، بينما عند المؤرخين الآخرين تسعة أشهر ونصف، وهي الأقرب إلى الصحة ويظهر أن ما كُتِبَ في كتاب الرقيق لا يدعو أن يكون خطأ مطبعيا كما أشار إلى ذلك محقق الكتاب، أما بنية المصادر فتتفق على تسعة أشهر" انظر: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص 133، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج 5، ص 278، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج 1، ص 82، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص 193.

أمسك داود بن يزيد زمام الأمور في ولاية إفريقية، حتى جاء كتاب الولاية من بغداد بتعيين عمه روح بن حاتم واليا على إفريقية من الخليفة هارون الرشيد، فقدمها في رجب من عام 170هـ / 786م ونزل بالقيروان (28).

وإذا كان يزيد بن حاتم قد عُرف في المغرب بالكرم والشجاعة والإقدام، فقد كان روح بن حاتم ندًا له بالمشرق حين كان واليا على السند، قبل مقدمه إلى المغرب (29)، رآه رجل يوما واقفا على باب الخليفة المنصور وقد طال وقوفه تحت الشمس فقال له: "لقد طال وقوفك في الشمس، فقال له: ليطول وقوفي في الظل" (30). واستقامت بمقدمه الأمور في بلاد المغرب، وصلحت له الدنيا ووادع عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية (31). وظل في ولاية إفريقية حتى وافته المنية في شهر رمضان من سنة 174هـ / 791م، وبدا تكون ولايته ثلاث سنين وبضعة أشهر (32).

نصر بن حبيب الأزدي (174هـ / 791م – 177هـ / 793م):

هو نصر بن حبيب الأزدي المهلبي، عينه الخليفة هارون الرشيد عاملا على أرمينية فترة من الزمن ثم عزله (33)، فتوجه بعدها نحو مصر فكان على شرطة يزيد بن حاتم في مصر وإفريقية، وقد كان محمود السيرة، وعندما توفي روح بن حاتم بايع الناس ابنه قبيصة، إلا أن هارون الرشيد كان قد كتب بولاية إفريقية لنصر

(27) "وقد كان ذلك في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي. وقد تمكن العُمانيون من هزيمة عيسى بن جعفر وأسرته ثم قتله" انظر: السالمي: نور الدين عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، مكتبة الاستقامة، سنة: 1417هـ/1997م ج1، ص116، البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص116.

(28) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص135، ص136، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص278، ص282، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص82، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص193.

(29) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص136، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص231، البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص162.

(30) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص137، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص84.

(31) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص141.

(32) نفسه: ص140، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص287، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص85.

(33) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص300.

بن حبيب إبان مرض روح بن حاتم وأخفى نصر ذلك الأمر عن الخاصة والعامة، ثم أظهر كتاب الخليفة بعد أن تأكد خبر وفاة الوالي روح بن حاتم⁽³⁴⁾، وقد كان نصر حسن السيرة في ولايته واشتهر بالعدل⁽³⁵⁾.

إن هذه الأخلاق الرفيعة والمميزة التي كان يتعامل بها هذا الوالي وبعض الولاة الآخرين من بني المهلب مع سكان بلاد المغرب، من شأنها أن ترسخ جذور العلاقة بين المهالبة وسكان بلاد المغرب، فهي تعطي صورة ناصعة للأخلاق الحسنة التي كان عليها أهل عُمان على وجه العموم، والمهالبة على وجه الخصوص، التي مثلها هؤلاء الولاة أحسن تمثيل وكانوا قدوة فيها، فأحبهم سكان بلاد المغرب، وانقادوا لأوامرهم؛ إذ أن قلوب البشر جُبلت على حب من أحسن إليها. واستمر نصر بن حبيب في ولايته سنتين وبضعة أشهر إلى أن تم عزله عام 177هـ / 793م، وأمسك بزمام الأمور بعد عزله المهلب بن يزيد إلى حين مقدم الوالي الجديد من هارون الرشيد⁽³⁶⁾.

الفضل بن روح بن حاتم المهلبي (177هـ / 793م – 178هـ / 794م)

هو الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أخ يزيد بن حاتم، توجه إلى الخليفة هارون الرشيد بعد وفاة أبيه -روح بن حاتم- خاطبا الولاية على إفريقية بدلا من نصر بن حبيب، فوافق الخليفة إكراما وإجلالا لأبيه، ولم يمهل الخليفة الوالي نصر بن حبيب حتى مقدم الفضل بن روح، إنما عزله من منصبه وأمر بتسليم زمام الأمور إلى المهلب بن يزيد إلى حين قدوم الفضل إلى بلاد المغرب، فقدمها في عام 177هـ / 793م⁽³⁷⁾.

استبشرت إفريقية بمقدم الفضل بن روح واستقبل استقبالاً حافلاً⁽³⁸⁾، لكن هذا الوالي خيب آمال أهالي المنطقة، فقد عين على تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح، الذي أساء لأهلها فشكوه للفضل -عمه- إلا أنه لم يعرهم اهتماما وغض الطرف عما يفعل ابن أخيه؛ فثار الناس ضده، وبايعوا بدلا منه عبد الله بن الجارود الذي قام بمعوية أتباعه بمحاصرة المغيرة بن بشر حتى تمكنوا من إخراجه من تونس، فبعث لهم

(34) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص85.

(35) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص147، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص85.

(36) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص149، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص85.

(37) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص149، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص297، البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص162.

(38) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص149.

الفضل عاملا آخر، إلا أنهم قتلوه، ثم استعدوا لمجابهة الفضل نفسه، فدارت بين الطرفين حرب ضروس انتهت بمقتل الفضل بن روح، عام 178 هـ / 794م⁽³⁹⁾.

وبمقتل الفضل بن روح المهلبي تنتهي فترة المهالبة في المغرب، التي استمرت قرابة سبعة وعشرين عاما؛ إذ بدأت في أواخر أيام أبي جعفر المنصور وانتهت في أوائل أيام هارون الرشيد⁽⁴⁰⁾، وهي فترة جديرة بتجدر العلاقة بين المهالبة والسكان الأصليين لبلاد المغرب، بسبب إمكانية وفود آل المهلب إلى بلاد المغرب لإعانة الولاية في ولاياتهم.

ومما تقدم يظهر أن الدولة العباسية كانت واثقة ومقتنعة بالسياسة التي كان ينفجها ولاتها المهالبة في بلاد المغرب، بل متيقنة من ولائهم لها، ويتضح هذا الأمر بصورة جلية في تتابع هؤلاء الولاية على بلاد المغرب الواحد تلو الآخر، دون أن يتخللهم أي والٍ خارج نطاق العائلة المهلبية طيلة سبعة وعشرين عاما التي استمر فيها المهالبة يمسكون بزمام الولاية على بلاد المغرب. كما أنه من المنطقي أن تستمر بعض العائلات المهلبية مقيمة في بلاد المغرب بعد انقضاء مدة ولاية الولاية المهالبة، فلا يسوغ عقلا أن يخرج كل المهالبة عن بكرة أبيهم من بلاد المغرب بعد انتهاء مدة ولايتهم.

الدور الحضاري للولاية المهالبة:

وبعد التطرق للفترة التاريخية التي حكم فيها المهالبة بلاد المغرب، وما حدث في عهدهم من صراعات ونهضة حضارية شملت معظم أجزاء بلاد المغرب، يأتي الدور لتتبع هذه النهضة الحضارية وتفصيلها.

نظرا لطول المدة التي قضاها المهالبة في هذه الولاية، التي استمرت قرابة سبعة وعشرين عاما⁽⁴¹⁾، فقد كانت مليئة بالإنجازات الحضارية. ومثل والي عمر بن حفص بن عثمان المهلبي الأزدي (ت: 154 هـ / 771م) أول ولاية المهالبة على بلاد المغرب⁽⁴²⁾، ومن المحتمل أن يكون قد اصطحب معه عند مقدمه من المشرق

(39) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص288، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص151، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص297، 298، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص87، ص88.

(40) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص88.

(41) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص88.

(42) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص195، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص75، الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص185.

عدداً من العلماء من بني جلدته؛ ليستنير بهم في إدارة شؤون الولاية، وليكونوا عوناً له في تثبيت أركان سلطته، وتعليم الناس أمور دينهم.

وقد برز بعد عمر بن حفص المهلبي، الوالي يزيد بن حاتم المهلبي (ت: 170 هـ / 786 م)، الذي أولى اهتماماً بالعلماء وطلاب العلم، وكان بلاطه "زاخراً بالعلماء والأدباء كما هو شأن الولاة الآخرين، فاستقدم عدداً كبيراً منهم" (43)، كما ارتحل إليه آخرون؛ لينعموا بهذا الاهتمام من لدن هذا الوالي (44)، ومن بين أولئك العلماء: العالمان العُمانيان إبراهيم بن قطن المهري، وأبو الوليد عبد الملك بن قطن (45)، بل إن أحد أحفاد هذا الوالي كان من علماء اللغة والأدب، يُدعى محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يزيد بن حاتم المهلبي (46)، ومن المنطقي أن تكون هناك لقاءات علمية بين هؤلاء العلماء وعلماء السكان الأصليين المغاربة في القيروان وما حولها من مدن.

لقد كان للهجرة المهلبية العُمانية المنظمة دور في تعميق العلاقة الاجتماعية بين آل المهلب وسكان بلاد المغرب؛ نظراً للدور الريادي الذي قاموا به في هذه المنطقة، فقد كان السبب الرئيس الذي جعل خلفاء بني العباس يرسلونهم إلى بلاد المغرب، رغبتهم في إرساء الأمن والاستقرار في البلاد (47)، ويصفهم أحد الباحثين بقوله: "وكان المهالبة في جملتهم أهل استقرار وخبرة بشؤون الإدارة" (48).

هاجرت أعداد كبيرة من آل المهلب مع ولاتها إلى بلاد المغرب، فقد صحب الوالي عمر بن حفص المهلبي (151 هـ / 768 م – 154 هـ / 771 م) خمسمائة فارس (49)، وخرج عدد غفير مع الوالي يزيد بن حاتم المهلبي

(43) حوالة: يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية، (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، 90 / 450 هـ المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، سنة: 1421 هـ / 2000 م، ص108 ص109.

(44) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص126، حوالة: الحياة العلمية في إفريقية...، م. س، ص108 ص109.

(45) محمد المنذري: علاقات عُمان الخارجية...، م. س، ص343.

(46) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، دبت، ص49.

(47) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص103 وما بعدها، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص71، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص103.

(48) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص71.

(49) السلاوي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصر ومحمد الناصر، دار الكتاب، ج1، 186.

(154هـ / 771م - 170هـ / 786م) بلغ ستين ألفاً⁽⁵⁰⁾، ومن المعلوم أن هذه الجنود كانت تصحب أسرها معها، وتظل مع الوالي حتى تنتهي ولايته، أو قد تبقى حتى يعين والٍ آخر من العائلة نفسها، وبعضها الآخر يطيب له المقام فيقضي طول حياته في مهجره. إن هذه الأفواج الكبيرة من آل المهلب التي هاجرت، كانت قادرة على إحداث تغيير جذري في الحياة الاجتماعية في المناطق والمدن التي نزلتها، فالعادات والتقاليد والمبادئ والصفات التي كانت تدين بها كان لها الأثر الكبير في التأثير والامتزاج بينها وبين عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب الأصليين.

ومن الصفات النبيلة التي اشتهر بها ولاية المهالبة، الكرم والجود والسخاء والشجاعة⁽⁵¹⁾، وقد تجلّت هذه الصفات بصورة واضحة في شخص الوالي المهلبي يزيد بن حاتم المهلبي؛ إذ يصفه ابن عذاري بقوله: "هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وحاله في كرمه، وجوده، وشجاعته، وبعد صيته، ونفاذ رأيه، وتقدمه، معروف غير منكر، وكان كثير الشبه بجده المهلب ابن أبي صفرة في حروبه وكرمه، وكان له أولاد مذكورين بالشجاعة والإقدام"⁽⁵²⁾، ولم يكن هو الوالي الوحيد من بني المهلب الذي يحمل هذه الصفات النبيلة⁽⁵³⁾؛ بيد أن مدة ولايته التي بلغت ست عشرة سنة (154هـ / 771م - 170هـ / 786م)، كانت جديرة باستقطاب أقلام المؤرخين، وذبوع صيته أرجاء المعمورة.

وقد اندمج هؤلاء الولاة مع السكان، إذ كان الناس في مدينة القيروان -التي كان ينزل بها ولاية بني المهلب- يشاركون الولاة في أفراحهم وأحزانهم، فقد توفي ابن الوالي المهلبي روح بن حاتم (170هـ / 786م - 174هـ / 791م) فقدم الناس لتعزيتته، إلا أنه من رباطة جأشه وصبره، وجدوه يبتسم فاستحووا من تعزيتته، فأنشأ يقول:

(50) نفسه: ج1، ص188.

(51) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص115، ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين، تح: بسام عبدالوهاب الجاني، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، سنة: 1997م، ص82، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة...، م. س، ج2، ص1. السلاوي: الاستقصا...، م. س، ج1، ص189.

(52) البيان المغرب...، م. س، ج1، ص87.

(53) فالوالي روح بن حاتم المهلبي كان من الكرماء الأجواد أيضاً، انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص136، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص231، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة: 1900م، ط1، ج2، ص305، البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص162.

وإننا لقوم ما تفيض دموعنا على هالك منا وإن قُصِمَ الظهر⁽⁵⁴⁾

تمكن آل المهلب من الاندماج في المجتمع المغربي اندماجا كسروا به حاجز الطبقة، واستطاعوا أن ينصهروا في المجتمع بصورة جعلت الناس تنظر إليهم على أنهم عائلة مغربية، فلم يتعالوا على الناس ولم يستعبدوهم.

وما أدل على ذلك من قول الشاعر الحماسي⁽⁵⁵⁾:

نزلت على آل المهلب شاتيا بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل

فما زال بي معروفهم واقتصارهم وبرَّهُم حتى حسبتهم أهلي

ولم يتوقف الأمر عند مشاركة الولاة للسكان والاندماج في حياتهم اليومية فحسب، بل كان لهم أثر أكبر من ذلك، فقد سعوا إلى النهوض ببلاد المغرب، وتنظيم مدنها، والارتقاء بالحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها، ويشهد على ذلك ما قام به الوالي يزيد بن حاتم المهلبي في مدينة القيروان؛ إذ دعم النشاط الصناعي بصورة كبيرة، وشجع الصنّاع على مزاوله صناعاتهم وحرفهم، وتمثل ذلك الدعم والتشجيع في أمرين اثنين، الأول: جعل لكل صناعة مكاناً خاصاً بها؛ وذلك لتهيئة البيئة الملائمة لكل مهنة، والأمر الثاني: إنشاؤه لعدد من الأسواق؛ بهدف تحفيز أولئك الصنّاع على الاستمرار في صناعاتهم، وتسهيل مهمة بيع إنتاجهم في مدينتهم، وكذلك لتسهيل حصول السكان الآخرين على ما يرغبون من السلع⁽⁵⁶⁾.

إن قيام الوالي المهلبي يزيد بن حاتم بإنشاء الأسواق، وتنظيمه لشؤون مدينة القيروان، جعل الكثير من التجار يتهافتون عليها؛ لبيع بضاعتهم وشراء إنتاج أولئك الصنّاع، وعندما اكتظت المدينة بالسكان؛ نظرا لهذا الرقي

(54) السلاوي: الاستقصاء...، م. س، ج، 1، ص 189.

(55) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج، 1، ص 84.

(56) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج، 2، ص 270، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص 123 ص 124، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج، 5، ص 197، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص 72، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص 105.

والتطور الذي طالتها يد هذا الوالي، أصبح جامعها القديم غير قادر على استيعاب تلك الأعداد الكبيرة من المصلين، فأمر بتجديد الجامع⁽⁵⁷⁾؛ لكي يتلاءم مع التطور الذي لحق بباقي مرافق المدينة.

واهتم هذا الوالي كذلك بالزراعة، وكان حريصاً على متابعة هذا النشاط بنفسه؛ إذ كان كثير التجوال بين الرياض التي تعج بها مدينة القيروان؛ فيأمر المزارعين بما يراه مناسباً وينهاهم عما يراه خطأ، كذلك لم يغفل جانب الرعي؛ إذ خصص للأغنام مكاناً مناسباً للرعي على مشارف المدينة⁽⁵⁸⁾، وبالمثل فقد قام الوالي يزيد بن حاتم بتنظيم تونس على غرار ما قام به في مدينة القيروان⁽⁵⁹⁾.

لم يكن انتهاء مدة ولاية المهالبة تعني نهاية الوجود المهلبي في بلاد المغرب، بل إن الكثير منهم طاب لهم المقام، وبقوا فيها لمئات السنين، يشهد على ذلك وجود بعض منهم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بدولة الأدارسة، وقد اعتلى أحد أفرادها، يدعى ثعلبة بن محارب بن عبدالله الأزدي العنكي المهلبي منصب الولاية على عدوة الأندلس في عهد علي بن عمر بن إدريس (261هـ/ 874م – 270هـ/ 883م)، ثم عزل، وعين بدلاً عنه ابنه عبد الله، ثم محارب بن عبد الله بن ثعلبة (ت: 292هـ/ 904م)⁽⁶⁰⁾.

وفي السياق نفسه استوطن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي العنكي المهلبي مدينة المهدية قبل انتقاله إلى مدينة قرطبة، وهو والد الشاعر المشهور أبي القاسم محمد بن هانئ، وقد ولد الشاعر أبو القاسم بالأندلس وبها تلقى تعليمه، إلا أنه عاد وسكن المغرب فيما بعد وتوفي فيها عام (362هـ/ 872م)⁽⁶¹⁾.

ومما سبق يتبين الدور الاجتماعي والحضاري الذي قام به المهالبة في بلاد المغرب، وحرصهم على مصلحة البلاد وسكانها، الأمر الذي أتاح لهم محبة السكان والولاء لهم، فتمكن الناس من الحياة بسعادة وأمن وأمان.

(57) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص270، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، الصفحات، 123، 124، 126، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص197، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص72، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص105.

(58) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج1، ص81.

(59) نفسه: ج1، ص87.

(60) السلاوي: الاستقصا...، م. س، ج1، ص236.

(61) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة: 1415هـ/ 1995م، ج4، ص147.

ومن أبرز نتائج الآثار الحضارية التي تركها المهالبة في بلاد المغرب، هو بروز مدينة القيروان على الساحتين السياسية والعلمية، فأصبحت تنافس مدن المشرق في ذلك، كالبصرة والكوفة وبغداد، نتيجة الأمن والاستقرار والرخاء الذي ساد هذه المدينة إبان حكم ولاية المهالبة لها، واهتمامهم بالجوانب العلمية والحضارية فيها.

كذلك من نتائج الهجرة المهالبة المحافظة على بعض المعالم الدينية التاريخية في بلاد المغرب، وتجلى ذلك في ترميم المهالبة لجامع القيروان وتوسيعه⁽⁶²⁾، فكان هذا العمل أحد الأسباب التي جعلت هذا الجامع شامخاً إلى عصرنا الحاضر.

ونظراً لحسن تعامل المهالبة مع سكان بلاد المغرب، فقد نتج عنه تغيير نظرة البربر نحو بعض ولاية بني العباس الظالمين قبل مقدم المهالبة، وتمكنوا من تحسين صورة الخلافة ببغداد في أذهان البربر ولو فترة وجيزة (151هـ/768م-178هـ/794م) من عمر الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون (132هـ/749م-656هـ/1258م)، كذلك يمكن القول إن للمهالبة دوراً على مستوى المجتمع الإسلامي الكبير، فقد استطاعوا تأخير انقسام مجتمع بلاد المغرب إلى دويلات.

الخاتمة:

إن الدور الحضاري الذي قام به المهالبة في بلاد المغرب يستدعي دراسته دراسة معمقة؛ لفتح الباب أمام الباحثين لاستنطاق الروايات والنصوص الواردة في شتى الكتب الفقهية والتاريخية للوصول إلى تلك الجوانب التي كانت همزة الوصل بين القطرين العماني والمغربي؛ لتعزيز هذا الأمر في قلوب هذا الجيل والأجيال القادمة.

وإن تتابع هؤلاء الولاة على بلاد المغرب الواحد تلو الآخر، يعد دليلاً على المقدرة الإدارية والحس السياسي لديهم، الذي جعل من خلفاء الدولة العباسية ينيطون بهم الولاية. كما يتضح بصورة جلية الأعمال الجليلة التي قام بها المهالبة في بلاد المغرب، التي تشهد على الحس الحضاري الذي يمتلكونه أينما حل مقامهم. وقد استثمر المهالبة ما هو موجود في المجتمع من أجل النهوض ببلاد المغرب في شتى مجالات

(62) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج2، ص270، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، الصفحات، 123، 124، 126، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج5، ص197، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص72، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي ... م. س، ص105.

الحياة، فلم يشتغلوا، كحال بعض الولاة الآخرين، بإدارة الدولة على حساب نهضة المجتمع وتحضره، بل أبدعوا ونقلوا ما عهدوه في بلاد المشرق؛ فنشأ تمازج بين الحضارة المشرقية والحضارة المغربية.

وفي الختام يدعو الباحث سكان البلدان المغربية وسكان عُمان، أن يجعلوا من هذه الفترة الذهبية نقطة انطلاق لتعميق العلاقة؛ لتكون مرتعا خصبا لأقلام الباحثين للتنقيب في صفحات التاريخ، والبحث في قوة هذه العلاقة بين عمان وبلاد المغرب.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأبار، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبدالسلام الهراس، درا الفكر، بيروت، لبنان، سنة: 1415هـ / 1995م.
2. ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، سنة: 1415هـ / 1995م.
3. ابن الجوزي: أخبار الطراف والمتماجنين، تح: بسام عبدالوهاب الجاني، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، سنة: 1997م.
4. ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر: نسب معد واليمن الكبير، تح: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د.ت.
5. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، بدون طبعة، د.ت.
6. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: صدقي جمال العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ / 2001م.
7. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد العظم: جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبطها: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، سنة: 1428هـ / 2007م.
8. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1900م، ط1.
9. ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، طبعة في مدينة ليدن، سنة: 1920م.
10. الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تح: يوسف البقاعي وغريد الشيخ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1420هـ / 2000م.
11. البطاشي، سيف بن حمود: تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، إصدارات مكتبة السيد محمد بن أحمد، السيب، سلطنة عُمان، د.ت.

12. الثعالبي، عبد العزيز: تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، بيروت، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ/1987م.
13. حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراتها في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د.ت.
14. حسونة، محمد: أثر العوامل الجغرافية في الفتح الإسلامية، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.
15. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط1، سنة: 1980م.
16. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1996م.
17. حوالة، يوسف: الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، 450/90هـ)، ط1، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سنة: 1421هـ/2000م.
18. الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: تاريخ إفريقية والمغرب: تح: عبد الله العلي الزيدان، وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1990م.
19. الزاوي، الطاهر: تاريخ الفتح العربي، دار الفتح و دار التراث العربي، ليبيا، ط3، د.ت.
20. زهرة، عبدالغني: تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد المغرب، مكتبة الراشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، سنة: 1429هـ/2008م.
21. السالمي، نور الدين، عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، مكتبة الاستقامة، سنة: 1417هـ/1997م.
22. السلاوي، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصر ومحمد الناصر، دار الكتاب.
23. سلطان، عبد المنعم: آل المهلب العُمانيون في المشرق حتى سقوط الدولة الأموية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، سنة 2005م.
24. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1417هـ/1997م.

25. العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم: الأنساب، تح: محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، ط4، سنة: 1427هـ/2006م.
26. العيدروس، محمد: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، سنة: 1430هـ/2009م.
27. المراكشي، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، سنة: 1983م.
28. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة: 1419هـ/1999م.